

صفات عباد الرحمن

٣ - قيام الليل

• الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

لا زلنا نعيش مع عباد الرحمن ، مع هذه اللوحة القرآنية التي رسمها الله تبارك وتعالى لعباده ، ليصور فيها نموذجاً لنا من النماذج الراضية المرضية عند الله تبارك وتعالى ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ^(١) .

حدثنا الله تعالى عن حالهم في أنفسهم ، وحالهم (التواضع) لا الفخر ولا الكبرياء : « يمشون على الأرض هونا » .

وحدثنا عن حالهم مع الناس ، وهي حالة من لا يشغل نفسه بالسفهاء ، ولا يخاطب الجاهلين إلا سلاماً : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

وهو هنا يحدثنا عن حالهم مع ربهم ، وتتجلى حالهم هذه في جنح الليل ، إذا أرخى الليل سدوله ، إذا أوى الناس إلى فرشهم ولحفهم ، كان لهم حال مع الله : « يبيتون لربهم سجداً وقياماً » ، والخلّيون هُجِعَ ، والناس في غفلاتهم نائمون ، أو في سهرهم ماجنون ، أو في مجونهم ساهرون . . هناك « يبيتون لربهم سجداً وقياماً » .

إنهم في ليلهم بين سجود وقيام ، وهذه أظهر حال الصلاة : السجود والقيام « أقرب ما يكون العبد من ربه - عز وجل - وهو ساجد ، فأكثرُوا الدعاء » ^(٢) .

(١) الفرقان : ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : الحديثان ١٩٣ ، ٩٢٣) .

وُصِفُوا بالسجود حيث يضعون جبهاتهم على الأرض لله تبارك وتعالى ، هذه الجباه التي علت وارتفعت فلا تنحني لمخلوق ، إنما تنحني لله سبحانه وتعالى ، راحة ساجدة ، خاشية خائفة ، طامعة في رحمة الله عز وجل .

« يبيتون لربهم سجداً وقياماً » : فهم بين سجود وقيام ، يقومون يتلون كتاب الله ، يقرأون كلام الله ، يسألونه الرحمة ، ويستعينون به من النار .
إنهم يفعلون ذلك ليس طلباً لمرضاة أحد ، ولا ابتغاء محمدة أو شهرة ، وإنما يفعلون ذلك لله : « يبيتون لربهم » .

إنهم يبيتون لله ، يبتغون وجهه ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، وصدق الله العظيم حينما وصف أمثال هؤلاء فقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . ﴾ (١) هذا هو العلم ، العلم بما أعد الله لعباده الصالحين في الآخرة من نعيم ، وما أعدّه للآخرين من عذاب أليم .

« يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » : كان لبعض السلف غلام ، خادم عندهم ، فكان يقوم الليل ، فقال له مولاه (سيده) : إن قيامك بالليل يؤثر على عملك في النهار .

قال : وماذا أعمل ؟ إنني إذا تذكرت الجنة طال شوقي ، وإذا تذكرت النار طال خوفي ، فكيف لي أن أنام بين خوف يزعجني وشوق يقلقني ؟ !
هؤلاء هم الذين ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٢) ، رغم أن المضجع هنيئ والفراش لين ، فإنهم يدعون ذلك كله لله .

روى الإمام أحمد (٣) عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « عجب ربنا تعالى من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته ، فيقول الله جلّ وعلا : أنظروا إلى عبدی ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله

(١) الزمر: ٩، وتتمتها: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ . (٢) السجدة: ١٦ .

(٣) ورواه أيضاً أبو يعلى والطبرانی وابن حبان في صحيحه ، وحسن الهيثمي إسناده (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢٢١/١ ، الحديث ٣٢٣) .

إلى صلاته رغبة فيما عندى ، وشفقة مما عندى . ورجل غزا فى سبيل الله ، وانهزم أصحابه ، وعلم ما عليه فى الانهزام ، وما له فى الرجوع ، فرجع حتى يهريق دمه ، فيقول الله : أنظروا إلى عبدى رجع ، رجاء فيما عندى وشفقة مما عندى ، حتى يهريق دمه » .

الخوف والطمع ، أو الرغبة والشفقة ، الرغبة فيما عند الله من المثوبة ، والشفقة مما عنده من العقوبة ، هو الذى جعله يترك الفراش اللين والمضجع الطيب إلى الله عز وجل .

الرجل الآخر : الذى غزا لله ، وحينما رأى أصحابه انهزموا ، وعلم ماله فى الرجوع وما عليه من الفرار ، رجع وقاتل حتى أهرق دمه ، يعجب الله منه ويباهى به ملائكته .

كلاهما مجاهد ، كلاهما مكابد ، هذا جاهد النفس حتى أهرق دمه فى مرضاة الله ، وهذا كابد الليل وقام يرضى الله سبحانه وتعالى .

الله تعالى وصف المتقين بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) ، قل هجوعهم ، وقل نومهم بالليل ، وفى آخر الليل يستغفرون ، يشعرون بالتقصير رغم قيامهم ومكابدتهم لليل وطوله ، وبأنهم مفرطون فى جنب الله ، مقصرون فى حق الله ، فيطلبون المغفرة من الله عز وجل .

كان بعض السلف يقوم من الليل حتى إذا جاء السحر قال : يا رب إن مثلى يستحى أن يسألك الجنة ، فأسألك برحمتك أن تحيرنى من النار .

يرى أنه ليس أهلاً لأن يطلب الجنة ، فحسبه أن يسأل النجاة من النار ! هؤلاء هم الذين حدا بهم الخوف والطمع - الخوف مما عند الله والطمع فيما عند الله - إلى أن يصفوا أقدامهم لله راكعين ساجدين ، يناجونه قائلين :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع !
توفى سيد الصوفية فى عصره ، وشيخ المريين الروحانيين : الجنيد رحمه الله ،

(١) الذاريات : ١٥ - ١٨ .

فَرَّاهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ : ذَهَبَتْ الْإِشَارَاتُ ،
وِطَاحَتْ الْعِبَارَاتُ ، وَضَاعَتْ الْعُلُومُ ، وَفَنِيَتْ الرُّسُومُ ، وَلَمْ يَنْفَعْنَا إِلَّا رَكِيعَاتُ كُنَّا
نَقُومُ بِهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ !

وَصَفَ الشَّاعِرُ ابْنَ الرُّومِيِّ هَؤُلَاءِ الْقَوَامَ ، الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ
وَصَفًّا مُبْدَعًا حِينَمَا قَالَ :

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ	عَنْ وَطِيءِ الْمَضَاجِعِ
كُلَّهُمْ بَيْنَ خِثَافٍ	مُسْتَجِيرٍ وَطَامِعٍ
تَرْكَبُوا لَذَّةَ الْكَرَى	لِلْعِيُونِ الْهَوَاجِعِ
وَرَعَوْا أَنْجَمَ الدُّجَى	طَالِعًا بَعْدَ طَالِعِ
لَوْ تَرَاهُمْ إِذَا هُمْ	خَطَرُوا بِالْأَصَابِعِ
وَإِذَا هُمْ تَأَوَّهُوا	عِنْدَ مَرِّ الْقَوَارِعِ
وَإِذَا بَاشَرُوا الثَّرَى	بِالْخُدُودِ الضَّوَارِعِ
وَاسْتَهَلَّتْ عِيُونُهُمْ	فَائِضَاتِ الْمَدَامِعِ
وَدَعَوْا : يَا مَلِيكُنَا	يَا جَمِيلَ الصَّنَائِعِ
اعْفُ عَنَّا ذُنُوبَنَا	لِلوَجُوهِ الْخَوَاشِعِ
اعْفُ عَنَّا ذُنُوبَنَا	لِلْعِيُونِ الدَّوَامِعِ
أَنْتَ - إِنْ لَمْ يَكُنْ	لَنَا شَافِعٌ - خَيْرُ شَافِعِ
فَأُجِيبُوا إِجَابَةً	لَمْ تَقْعُ فِي الْمَسَامِعِ
لَيْسَ مَا تَصْنَعُونَهُ	أَوَّلِيَانِي بَضَائِعِ
تَاجِرُونِي بَطَاعَتِي	تَرْبِحُوا فِي الْبَضَائِعِ
وَابْذُلُوا لِي نَفُوسَكُمْ	إِنَّهَا فِي وَدَائِعِي ! (١)

(١) ديوان ابن الرومي : ١٤٨٢/٤ ، ١٤٨٣ ، طبعة دار الكتب المصرية .

هؤلاء هم قوام الليل تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، والليل للناس فيه أحوال ومنازل :

هناك من يقضى الليل فى طاعة الله ، وهناك آخرون يقضونه فى نوم إلى الصباح ، وهناك من يسهرون الليل ، ولكن فيم يسهرون الجفون ؟ وفى أى حال يعيشون ؟

إنّ هناك من يسهر فى اللهو والمجون ، هناك من يسهر فى لهو وعبث حتى قُرب الفجر ، فإذا قُرب الفجر نام ، ولم يقم إلا فى الضحى أو فى الظهر .
هناك من يبيت ليله ليلاً أحمر فى شهوات ومنكرات ، يعبّ من الشهوات ، ويقارف المنكرات ، لا يخشى خالقاً ، ولا يستحي من مخلوق .

هناك من يقضى الليل فى إجرام ، يُبيتُ المكاييد والشرور والأذى للناس .
وهناك من لا همّ له إلا الأكل والشرب والنوم ، فنهاره شراب وطعام ، وليله رقود ومنام ، على نحو ما قال القائل :

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام !

هذه أنواع من الليل لأصناف من الناس ، وأما ليل هؤلاء : فهم « يبيتون لربهم سجّداً وقياماً » .

كان رسول الله ﷺ - كما وصفته عائشة - : « يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه » أى : تتشقّق ، وفى بعض الروايات : « حتى تتورّم قدماه » فقالت له : لم تصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ قال : « أفلا أحبّ أن أكون عبداً شكوراً » (١) .

دخل عليها يوماً عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح فسألاها : أخبرينا بأعجب شىء رأيتَه من رسول الله ﷺ ؟ فسكتت ، ثم قالت : لما كان ليلة من الليالى قال : « يا عائشة ، ذرينى أتعبد الليلة لربّى » ، قلت : والله إننى أحبّ قربك ، وأحبّ ما يسرك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلى ، قالت : فلم يزل يبكى حتى بلّ حجره ،

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢١٨/١ برقم ٣١٢) .

قالت : وكان جالساً ، فلم يزل يبكي ﷺ حتى بلّ لحيته ، قالت : ثمّ بكى حتى بلّ الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ، وتبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ لقد نزلت علىّ الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١) - الآية كلّها - » (٢) .

هكذا كان ليله ﷺ ، وهكذا كان أصحابه .

كانوا يشمّرون عن ساعدهم ، كانوا يحاولون أن يقوموا الليل كلّهُ ، وكان منهم من لا يكتفى بقيام نصف الليل أو ثلثيه ، ويريد أن يقوم الليل كلّهُ ، والنبيّ ﷺ يحاول أن يردهم إلى الاعتدال حتى يدوموا عليه ، ف « أحبّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ » (٣) .

كانت أشواقهم عالية ، كانت همهم رفيعة ، فلم يكونوا يقتصرون على الفرائض ، بل كانوا يحبّون أن يتنفلوا وأن يستزيدوا ، وأن يكثروا من رصيدهم عند الله عزّ وجلّ ، هكذا كان سلف هذه الأمة .

باع الحسن بن صالح - من فقهاء السلف - جارية كانت عنده لقوم ، فلما كان الثلث الأخير من الليل قامت تنادى فيهم : الصلاة . . الصلاة ، فقالوا لها : أصبحنا ؟ أطلع الفجر ؟ قالت لهم : وما تصلّون إلّا الفجر ؟! قالوا : بلى ما نصلى إلّا المكتوبة ، فرجعت إلى سيدها الأوّل وقالت له : بعتنى لقوم ليس لهم حظّ من الليل ، بالله عليك إلّا رددتنى !

هكذا كانوا ، أحراراً وعبيداً ، حرائر وإماء ، ورجالاً ونساء ، كانوا يقومون الليل كلّهُ .

مرّ أبو حنيفة - وكان يقوم بعض الليل - على قوم فقال بعضهم وأشار إليه :

(١) آل عمران : ١٩٠ وما بعدها .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عبيد بن عمير رضي الله عنه ، ونسبه ابن كثير في تفسيره أيضاً إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن أبي الدنيا ، وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرّاً على جزء من آخر الحديث ، وانظر نصّ الحديث في (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى : ٤٢٨/١ - ٤٢٩ برقم ٨١٠) .

(٣) متفقٌ عليه من حديث عائشة رضي الله عنها (الجامع الصغير : ١١/١) قال المناوى : ورواه أحمد بلفظ : « أحبّ الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ » والله أعلم (فيض القدير : ١٦٥/١ - ١٦٦ برقم ١٩٧) .

هذا هو الرجل الذي يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فقال : والله إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُوصَفَ
بِمَا لَا أَفْعَلُ ، فكان بعد ذلك يَحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ .

وكان منهم من يقوم جزءاً منه ، وهذا هو الأَوْفَقُ لِلسَّنَةِ والأَرْفَقُ لِلْبَدَنِ . قال
النَّبِيُّ ﷺ : « أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ
دَاوُدَ ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ . . » (١) .
أَيُّ يَنَامُ الْجُزْءَ الْآخِرَ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى يَقُومَ بِنَشَاطٍ .

فكانوا حَرِيصِينَ عَلَى جَوْفِ اللَّيْلِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ » (٢) .

وقد ورد أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى عِبَادِهِ وَيَتَجَلَّى عَلَيْهِمْ فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ
مِنَ اللَّيْلِ وَيَنَادِيهِمْ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجِيبْ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ
سَائِلٍ فَيُعْطَى سَوْلُهُ ؟ هَلْ مِنْ كَذَا هَلْ مِنْ كَذَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ (٣) .
إِنَّهَا سَاعَاتُ الْأَسْحَارِ . . سَاعَاتُ التَّجَلَّى : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن عبد الله بن
عمرو بن العاص (المتقنى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٨ برقم ٣١٣) ، وتتمّة
الحديث : « ويصوم يوماً ، ويفطر يوماً » .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والرويانى في مسنده ، والطبرانى في الكبير عن
جندب (الجامع الصغير : ١ / ٥٠) قال المناوى : وهوهم الطبراني في عزوه له (فيض
القدير : ٢ / ٤١ - ٤٢ برقم ١٢٧٤) وتتمّة الحديث : « وأفضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله المحرم » .

(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ
الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ ،
مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ » رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم ، وفي رواية
لمسلم : « إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثُهُ يَنْزِلُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ،
فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ؟ حَتَّى
يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ » . قال الشيخ القرضاوى معلّقاً على الحديث : والمؤمن يسلم بصحة الحديث ،
ويوقن بمضمونه ، ولا يخوض في كنهه ، وينزه الله تعالى عن مشابهة خلقه (المتقنى من كتاب
الترغيب والترهيب : ١ / ٤٧٦ - ٤٧٧ برقم ٩٢٤) .

في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن » (١) .

ومن لم يستطع أن يكون له حظ من الليل ، لا نصف ولا ثلث ، ولا سدس ، فليحرص على أن يُصَلِّيَ العشاء في جماعة والصبح في جماعة ، فإن النبي ﷺ قال : « من صَلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صَلَّى الصبح في جماعة فكأنما صَلَّى الليل كله » (٢) .

ومن لم يفعل ذلك ، من كان أدنى من هذه المنازل ، فليحرص على الصلوات في أوقاتها ، ولا يضيع الصلاة حتى تشرق عليه الشمس وهو نائم .
ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » (٣) ، قال الحسن : إن بوله والله لثقل .
وما أكثر الذين جعلوا من آذانهم مبادل للشيطان !

لقد فسد على الناس نظام حياتهم ، كان الناس من قبل ينامون مبكرين ، ويستيقظون مبكرين ، فلما جاءت الأجهزة الحديثة - أجهزة الإعلام والأفلام والمسلسلات - التي تُسهر الناس إلي ما بعد نصف الليل ، أصبح من العسير على الناس أن يقوموا في الصباح الباكر .

ينبغي أن تكون الصلاة هي المنظم لحياة المسلمين ، ولمواعيد يقظتهم ونومهم ، ليستقبلوا الصباح الباكر من يد الله طهوراً قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة ، ففي الحديث : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » (٤) .

(١) رواه الترمذی واللفظ له ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢٢٠ برقم ٣٢١) .

(٢) رواه مالك ، ومسلم واللفظ له ، وأبو داود ، والترمذی ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ١٧٤ برقم ٢٠٣) .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن ابن مسعود ورواه أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة وقال : « في أذنه » على الأفراد وزاد في آخره قول الحسن (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢٢٣ - ٢٢٤ برقم ٣٣١) .

(٤) رواه الأربعة ، وحسنه الترمذی ، وصحّحه ابن حبان من حديث صخر بن =

ورد عن النبي ﷺ فيما رواه البخاريّ : « يعقد الشيطان على قافية رأس (١) أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عقد ، يضرب على كلّ عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضّأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلّها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلاّ أصبح خبيث النفس كسلان » (٢) لازالت عقد الشيطان على رأسه ، ولذلك قال النبي ﷺ : « فحلّوا عقد الشيطان ولو بركتين » (٣) .

هكذا يريد منّا رسول الله ﷺ : ألاّ نستسلم للشيطان .
إنّ الذي يعين الناس على قيام الليل - كما قال الإمام الغزالي رحمه الله (٤) - أن يتخفّفوا من المأكّل والمشارب ، وقد قال بعض الصالحين : لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسّروا عند الموت كثيراً .
ومما يعين - أيضاً - على ذلك : ألاّ يجهد الإنسان نفسه بالنّهار فلا يستطيع القيام بالليل ، وأن يستعين كذلك على قيام الليل بالقليلة كما ورد في الأثر (٥) .
دخل الحسن البصري السوق فوجد أهله في شغل شاغل بديناهم ، وعجب من لغطهم ولغوهم فقال : ما أظنّ ليل هؤلاء إلاّ ليل سوء فإنّهم لا يقلّون .

= وداعة الغامدى ، وزاد : وكان - أى النبي ﷺ - إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار ، قال : وكان صخر تاجراً ، فكان يبعث في تجارته في أول النّهار ، فأثرى وكثر ماله ، أنظر (المقاصد الحسنة للسخاوى : حديث ١٧١) .

- (١) قافية الرأس : مؤخرة ، ومنه سمى آخر بيت الشعر قافية .
- (٢) رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي وابن ماجه ، وابن خزيمة في صحيحه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٦ برقم ٣٠٧) .
- (٣) هذه الزيادة أوردها ابن خزيمة في صحيحه .
- (٤) في الباب الثانى من كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل ، وهو الكتاب العاشر من (إحياء علوم الدين) ، وبه اختتام ربع العبادات .
- (٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما : « استعينوا بطعام السحر على صيام النّهار ، وبالقليلة على قيام الليل » رواه ابن ماجه ، والحاكم وصحّحه ، والبزار ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب ، وزمزه السيوطى بالصّحّة ، لكن فيه زمعة بن صالح ضعيف لخطئه ووهمه وإن كان صدوقاً (فيض القدير للمناوى : ١ / ٤٩٤ برقم ٩٨٦) (كشف الخفاء للعجلونى : ١ / ١١٩ برقم ٣٣٠) .

ثمّ على الإنسان بعد ذلك أن يبتعد عن الحرام ، وأن يجتنب الذنوب ، قال
سفيان الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنوب أذنبته ، قيل : وما ذاك
الذنوب ؟ قال : رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي : هذا مرء يرائي الناس .

وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد إنني أبيت معافي وأحبّ قيام الليل وأعدّ
طهوري فما بالي لا أقوم ؟ قال : لعلّ لك ذنباً قيدتك .
وعلى الإنسان المسلم الذي يريد أن يتشبه بهؤلاء :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح
عليه أن يتذكّر الآخرة ، يتذكّر الموت وما بعده ، كان بعضهم يقول لنفسه إذا
أراد النوم :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحشرات
إنّ في القبر إن نزلت إليه لرقاداً يطول بعد الممات
عليه أن يتذكّر الجنة والنار ، قال طاووس : إنّ ذكر جهنم طير النوم من أعين
العابدين .

على الإنسان أن يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، يقول عليه السلام : « عليكم
بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلي ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة
عن الإثم » (١) .

قيام الليل يبدأ من بعد صلاة العشاء إلى الفجر .
تستطيع أن يكون لك حظّ في هذا الوقت ، وإذا لم تكن تستطيع أن تقوم قبل
الفجر ، فصلّ بعد العشاء .

صلّ ما استطعت من ركعتين ، إلى أربع ، إلى ستّ ، إلى عشر ، إلى اثنتي
عشرة ركعة ، واختتم بالوتر (٢) ، فإن آخر صلاة الليل مشهودة .

(١) رواه الترمذی ، وابن أبي الدنيا في كتاب التهجد ، وابن خزيمة في صحيحه ،
والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي (المتفق من كتاب الترغيب
والترهيب : ١ / ٢١٨ - ٢١٩ برقم ٣١٥) .

(٢) عن عبد الله بن عمر ، عن النبي عليه السلام قال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً »
متفق على صحته (شرح السنة للبغوي : ٤ / ٨٦ برقم ٩٦٥) .

على المسلم أن يستفيد من الليل ، من هذا الوقت الذى يتجلى الله سبحانه وتعالى فيه لعباده ، وألاً يضيع حظه من الليل ، فإذا لم يكن له حظ من الليل ، فكما قال بعض السلف: إذا لم يكن لك حظ من الليل ، فلا تعصى ربك فى النهار . وهذا أدنى المنازل .

أقل ما يطلب منك أن تؤدى الفرائض .

الله وصف (عباد الرحمن) بأنهم : « يبيتون لربهم سجداً وقياماً » ، ولم يصفهم بأنهم يحافظون على الفرائض ، فهذه منزلة دون منزلتهم ، وهم أعلى من ذلك وأرفع .

ذكر النبى ﷺ الجنة فقال : « فى الجنة غرفة ^(١) يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها » ، فقال أبو مالك الأشعرى : لمن هى يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » ^(٢) .

وقال عبد الله بن سلام : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة المنجل النّاس إليه (أى أسرعوا ومضوا إليه) فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه ، واستبنته ، عرفت أنّ وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : « أيّها النّاس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والنّاس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ^(٣) .

نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء ، إنّه سميع قريب ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، ادعوا الله يستجب لكم .

※ ※

(١) فى المستدرک : « إنّ فى الجنة غرفاً والغرف : المنازل المرفوعة .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٧ برقم ٣١٠) .

(٣) رواه أحمد ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه والدارمى ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٧ برقم ٣٠٩) .

• الخطبة الثانية :

أما بعد :

يقول النبي ﷺ : « من استيقظ من الليل ، وأيقظ أهله فصلًا ركعتين ، كتبنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (١) .

وقال : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلًا ، وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلًا ، وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء » (٢) .

ولا شك أن هذا النضح - وهو الرش الخفيف - من باب الممازحة ، وهو إنما يكون بناء على اتفاق بينهما ، فهما متفاهمان على طاعة الله تعالى ، ولا يحب أحدهما أن ينفرد بالخير دون الآخر .

إنها الأسرة المسلمة ، الأسرة التي تعيش في ظلال الرحمن ، في مرضاة الله تبارك وتعالى ، يعين كل منهما صاحبه على تقوى الله تعالى ومرضاته ، ونعم الزوجة تعين زوجها على أمر دينه ، ونعم الرجل يعين زوجته على طاعة الله .

أين هذا مما نراه اليوم من أسر مفككة لا يكاد يعرف أحدهم الآخر ، وإذا تعارفوا فإنما يتعارفون على أشياء غير ما يرضى الله تبارك وتعالى ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣) .

ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة ، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له ، ولعلها تكون هذه الساعة (٤) .

(١) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٩ برقم ٣١٧) .

(٢) رواه أبو داود ، وهذا لفظه ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٩ برقم ٣١٦) .

(٣) التحريم : ٦ .

(٤) يشير الشيخ إلي حديث أبي هريرة المتفق عليه ، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه » =

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالْ دُنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا ، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا ، اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا ، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا ، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا ، وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نَغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا (١) .

اللهم اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقى .

اللهم أعنا على ذكرِكَ وشكرِكَ وحسن عبادتِكَ .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

وصلّ اللهم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه وسلّم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

﴿ . . وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٥) .

* * *

= وأشار بيده يقللها ، والمراد بالساعة هنا معناها اللغوى وهو (برهة من الزمن) ولهذا قال : وأشار بيده يقللها ، ليسارة وقتها ، وأمّا تعيين هذه الساعة فقد ورد فيه أحاديث كثيرة صحيحة واختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً ، أنظر في ذلك (زاد المعاد لابن القيم : ١ / ٣٨٨ - ٣٩٧) و (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى : ١ / ٢٤١ - ٢٤٣) .

(١) وهى من الكلمات التى لم يكن رسول الله ﷺ يدعها حين يمضى وحين يصبح ، كما ذكر ابن عمر رضى الله عنهما فيما رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم . وانظر تعليق الشيخ على هذا الدعاء في كتابه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢٢٨ برقم ٣٤٣) .

(٣) آل عمران : ١٤٧ .

(٢) الحشر : ١٠ .

(٥) العنكبوت : ٤٥ .

(٤) الأحزاب : ٥٦ .

صفات عباد الرحمن ٤ - الخوف من النار

• الخطبة الأولى :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

لازلنا نعيش مع عباد الرحمن ، مع أخلاق هؤلاء الربانيين ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (١) .

وصف الله هؤلاء العباد :

وصف حالهم في أنفسهم بأنهم : ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ .
ووصف حالهم مع غيرهم بأنهم : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .
ووصف حالهم معه سبحانه فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ .
حيث يغفل الغافلون ، وينام النائمون ، ويغطون في سبات عميق ، هؤلاء : ﴿ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ .
﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢) .
ما الذى دفعهم إلى هذا ؟ .

إنه الخوف والطمع ، إنه الرغبة والرهب ، إنه الخوف والرجاء ، خوفهم من الله ، تذكرهم للآخرة ، أنها كانت دائماً تجاههم ، وأن جهنم كانت نصب أعينهم .
لم ينسوا قضيتهم المصيرية الأولى : أنهم إلى الله صائرون ، أنهم مهما عاشوا فى هذه الدنيا فإنهم ميتون ، وأنهم بعد الموت مبعوثون ، وأنهم بعد البعث محاسبون ، فإما إلى الجنة ، وإما إلى نار ، ولهذا كانت جهنم دائماً أمامهم :

(١) الفرقان : ٦٣ - ٦٦ . (٢) الذاريات : ١٧ ، ١٨ .

لهذا وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ﴾ (١) والغرام هو : الملازم الدائم المقيم ، كل شيء يزول عنك فليس بغرام ، إنما الغرام : ما لزمك وأقام معك (٢) .

﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ ﴾ : أى مقام أسوأ ، وأى مستقر أقبح من جهنم . . . الدار التى أعدّها الله للعصاة والمكذّبين من عباده ؟ .
يا أيّها الناس :

اتقوا هذه النار ، اتقوا جهنم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۖ ﴾ (٣) .

لو كان الموت نهاية المطاف لكان الأمر هيناً ، ولكن الموت (أشد ما قبله وأهون ما بعده) .

هناك بعد الموت بعث ، وهناك بعد البعث حشر ، وهناك بعد الحشر موقف ، وهناك بعد الموقف حساب وميزان وصحف تتطاير ، ولا تدرى أتأخذها باليمين أم بالشمال ؟ ولا تدرى إلى أين يميل لسان الميزان : إلى جانب الحسنات أو إلى جانب السيئات ؟ أثقل ميزانك فتكون ممن عيشته راضية ؟ أم يخف ميزانك فتكون أمك هاوية ؟ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ نَارٌ حَامِيَةٌ ۖ ﴾ (٤) .

هناك الموت وسكرته ، هناك القبر وضمته ، هناك الموقف وزحمته ، هناك الميزان ودقته ، هناك الحساب وسرعته ، هناك الربّ وغضبته ، وهناك الجنة ونعيمها وهناك النار ولهيبها .

عباد الرحمن وضعوا نصب أعينهم (جهنم) ، وكأنّها تريد أن تلفحهم ، كأنّها تفتح فاهها لتلتهمهم ، ولذلك دعاؤهم : ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ ﴾ ، لأنّ كلّ الناس واردٌ عليها ، مارٌّ بها ، الصراط فوقها ، منصوب عليها ، يا ترى أتنجو

(١) الفرقان : ٦٥ .

(٢) قال في (مختار الصحاح) : (الغرام) : الشرّ الدائم والعذاب وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ ﴾ قال أبو عبيدة : أى هلاكاً ولزماً لهم .

(٣) التحريم : ٦ .

(٤) القارعة : ١٠ ، ١١ .

أم تسقط ؟ أتسلم أم تهلك ؟ أتمرّ عليها مرّاً سريعاً أم تختطفك الكلاب حتى تهوى إلى جهنم ؟ .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ (١) .

كان أحد الشباب الصالح - ابن أبي ميسرة - يبكي إذا أوى إلى فراشه ويقول : ليت أمي لم تلدني ، فقالت له أمه : يا بني إنّ الله أحسن إليك حين هداك إلي الإسلام ، قال : ولكن يا أمّاه إنّ الله أخبرنا أنّنا واردون على النار ، ولم يخبرنا أنّنا صادرون عنها .

كلّنا وارد على النار ، تُرى من ينجو ومن لا ينجو ؟
إنّ المشكلة أيها الإخوة . . مشكلة الناس كلّ الناس : أنّ الآخرة بعيدة عن تفكيرهم .

الناس لا يفكرون إلّا في حاضرهم . . في يومهم . . في مصالحهم القريبة . . في لذاتهم العاجلة ، أمّا الغد وما بعد الغد ، فكلّ يبعده عن نفسه . . عن فكره . . عن ذهنه . . عن تصوّره . . عن خياله ، مع أنّ الأمر قريب قريب ، وكلّ آت قريب :

كلّ امرئ مصبّح في أهله والموت أدنى من شراك نعله !
﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ * ﴾ (٢) .

إنّ مشكلات الحياة تتعقّد حينما نرى الناس كالذئاب ، حينما نرى الناس كالسباع في الغابة يأكل القويّ الضعيف ، حينما نرى الناس كالأسماك في البحر يلتهم الكبير الصغير ، ما العلّة ؟

العلّة أنّ الآخرة بعيدة عنهم ، أنّ الناس لا يفكرون إلّا في دنياهم . . هذا هو الإله المعبود .

الدنيا وما فيها أصبحت الشغل الشاغل ، أصبحت أكبر همّهم ، ومبلغ علمهم ، ومحور تفكيرهم ، ومدار اهتمامهم .

(١) مريم : ٧١ ، ٧٢ . (٢) النحل : ٧٧ .

ولكن عباد الرحمن صنف آخر :

إِنَّهُمْ يَذْكُرُونَ الْآخِرَةَ وَيَذْكُرُونَ جَهَنَّمَ : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (١) .

روى البخارى (٢) عن أنس رضي الله عنه - قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣) ، رسول الله ﷺ يسأل الله تعالى أن يقيه عذاب النار ، وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !

وكان يعلم أصحابه - كما روى ابن عباس - هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « قولوا : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ » (٤) .

وهكذا كان يقولها دبر كل صلاة في آخر التشهد وهذا ما يُسن لنا أن نفعله ، حتى رأى ابن حزم وجوب هذا الدعاء في آخر كل صلاة .

لا بد أن يظلل المسلم ذاكرًا للنار ، وما أدراك ما النار ؟ إن النبي ﷺ يقول : « نار بنى آدم التي تُوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالوا: يا رسول الله ، إن كانت لكافية (نار الدنيا ليست هينة فمن يصبر على حرّها ؟) قال : فَإِنَّهَا فَضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً » (٥) .

وكما روى عن داود عليه السلام : إلهي لا صبر لى على حرّ شمسك ، فكيف أصبر على حرّ نارك ؟!

(١) الفرقان : ٦٥ .

(٢) في كتاب (الدعوات) من صحيحه ، باب : قول النبي ﷺ : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ... » . أنظر : البخارى مع الفتح (١١ / ١٩٥ برقم ٦٣٨٩) ، وانظره في : (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٦ برقم ٢٢٩٧) .

(٣) البقرة : ٢٠١ .

(٤) رواه مالك ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٥ برقم ٢٢٩٤) .

(٥) متفق على صحته من حديث أبى هريرة رضي الله عنه (شرح السنّة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ١٥ / ٢٣٩ برقم ٤٣٩٨) .

وكما قال القائل :

جسمي على الشمس ليس يقوى ولا على أهـون الحرارة !

فكيف يقوى على جحيم وقودها الناس والحجارة ؟!

إنَّ الله وصف أولى الألباب - الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ،
والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم - بأنهم يقولون : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ
هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ
أَخْزَيْتَهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿ ١١ ﴾ .

« فقد أخزيتهُ » : أهنته وأذلته ، فالنار ليست عذاباً حسيّاً فقط ، ولكنها عذاب
معنويّ أيضاً : الحزى . . الذلّ . . الهوان . حينما يُقال لهم : ﴿ اخْسَؤْا فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٢) أى حزى وأى هوان أشدّ من هذا ؟ .

النار دار الحزى . . دار الهوان . . دار الحجاب عن الله ، فقد وصف المكذّبين
بقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (٣) .

كان بعض الصالحين يتعلّق بأستار الكعبة ويقول : يا ربّ ، أما كان لك من
عقوبة إلاّ النار ؟ كيف لنا الصبر عليها ؟

روى أنّ النّبىّ عليه الصلاة والسلام كان يقول : « لا تنسوا العظيمنتين : الجنّة
والنّار » (٤) .

أى عظيم أعظم من هاتين العظيمنتين ؟ أين أين يكون مصيرك ؟ دار النعيم أم
دار العذاب ؟

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما رأيت مثل النّار : نام هاربها ، ولا مثل
الجنّة : نام طالبها » (٥) .

(١) آل عمران : ١٩١ ، ١٩٢ . (٢) المؤمنون : ١٠٨ . (٣) المطففين : ١٥ .
(٤) ذكره المنذرى في (الترغيب والترهيب) عن ابن عمر مرفوعاً ، وقال : رواه
أبو يعلى ، وسكت عليه ، الحديث (٥٢٥٥) بتحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، مطبعة
السعادة .

(٥) رواه الترمذى عن أبى هريرة ، والطبرانى في الأوسط عن أنس ، وحسنه في
صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (٥٦٢٢) .

عش في الدنيا ما شئت ، عش سبعين سنة ، أو مائة سنة ، أو مائتي سنة ،
أو ألف سنة ، ثم ماذا ؟ ستموت .

ثم ماذا بعد الموت ؟

إمّا إلي جنة ، وإمّا إلي نار ، كما قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده ما
بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار » (١) .

وقال ﷺ يوماً لأصحابه : « والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم ، لضحكتم
قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قالوا : وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال : رأيتم الجنة -
والنار » (٢) .

فاختر أي الدارين ؟

الموت باب ، وكلّ الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار ؟
الدار جنّات عدن إن عملت بما يرضى الإله ، وإن خالفت فالنّار
هما محلّان ما للمرء غيرهما فاختر لنفسك أي الدار تختار ؟
إنّ على الناس أن يكونوا بين الخوف والرجاء ، لا ينبغي أن يغلبهم الرجاء حتى
يأمنوا مكر الله ، ولا ينبغي أن يغلبهم الخوف حتى يئسوا من روح الله .
ولكن إذا كثرت الذنوب . . . إذا تراجعت المعاصي . . . إذا امتلأت الصحف
بالخطايا ، فعلى الإنسان أن يغلب الخوف على الرجاء ، أن يتذكّر ذنوبه ولا ينساها ،
أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، أن يزن أعماله قبل أن توزن عليه ، أن يسأل
نفسه قبل أن يصير السؤال إلي غيره .

عليه أن يتذكّر النّار فيحاسب نفسه : ماذا قدّمت ؟ وماذا عملت ؟ وفيما
قصرّت ؟ وفيما فرطت ؟ عسى أن يصحح ، عسى أن يتدارك ما فات ، عسى أن
يتلافى ما فرط ، عسى أن يجعل يومه خيراً من أمسه وغده خيراً من يومه .

(١) لم أعثر له على مخرج ، فيمكن أن يذكر على أنّه أثر لا حديث .
(٢) رواه مسلم ، وأبو يعلى (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٧ ،
الحديث ٢٣٠٣) .

هذا هو شأن المؤمنين : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ
أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (١) .

حينما نزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢) جمع أقاربه ودعاهم ، فعمّ وخصّ ، فقال : « يا معشر قريش أنقذوا
أنفسكم من النار ، يا معشر كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى هاشم
أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ،
يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإننى لا أملك لكم من الله شيئاً ، إلاّ
أن لكم رحماً وسأبليها بيلها » (٣) .

كلّ إنسان عليه أن ينقذ نفسه من النار ، وإنما ينقذ نفسه من النار : بعمل
الصالحات ، واجتناب السيئات .

أنقذ نفسك من النار بأداء الفرائض واجتناب المحارم : « اتق المحارم تكن أعبد
الناس » (٤) .

أنقذ نفسك من النار بأداء الحقوق : حقّ الله ، وحقوق الناس .

أنقذ نفسك من النار بالتوبة إلى الله إذا أذنبت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا
إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ، عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٥) .

(١) الفرقان : ٦٢ . (٢) الشعراء : ٢١٤ .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الشعراء (٣ / ٣٥٠) طبعة الحلبي ، رواه
أحمد عن أبي هريرة ، ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به ، وقال
الترمذي : غريب من هذا الوجه ، ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسلًا ولم يذكر
فيه أبا هريرة ، والموصول هو الصحيح .

(٤) جزء من حديث رواه أحمد ، والترمذي ، والبيهقي في الشعب ، عن أبي هريرة
رضي الله عنه (الجامع الصغير : ١ / ٨) ، وعزاه المناوي إلى أبي نعيم في الحلية ، قال الترمذي
غريب منقطع ، وقال المنذرى : وبقية إسناده فيه ضعف ، وفيه جعفر بن سليمان الضبعي
شيعي زاهد ، ضعفه الذهبي والقطان ووثقه آخرون ، وفيه أيضاً أبو طارق السعدي قال
الذهبي : مجهول • أنظر (فيض القدير : ١٢٤ - ١٢٥ برقم ١١٨) .

(٥) التحريم : ٨ .

كان عيسى ابن مريم - عليه السلام - يقول : كم من جسد صحيح ، ولسان فصيح ، ووجه صبيح ، غداً بين أطباق النار يصيح !!
وعندما تصيح غداً لا تنفك الصيحة ، ولا تنفك الاستغاثة ، إنما ينفع ذلك اليوم .

غداً حساب ولا عمل ، واليوم عمل ولا حساب ، فاعمل اليوم للغد ، لتتقذ نفسك من النار .

كان من أدعية النبي ﷺ : « . . . وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل » (١) .
وكان يعلم أصحابه هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « قولوا : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » (٢) .

وكان يقول : « من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار : اللهم أجره من النار » (٣) .
فاسألوا الله دائماً الجنة ، واستعينوا بالله تعالى من النار ، فإن الله أعدها للكافرين ، ولكن يلحق بهم عصاة المؤمنين .

إن الله سبحانه وتعالى حذر وأنذر ، ووعظ وذكّر ، وأنزل في كتابه آيات بينات ، وصف لنا فيها هذه الدار المخوفة ووصف لنا عذابها ، وما أعد فيها ، فقال : ﴿ . . . إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٤) .

(١) قطعة من حديث رواه ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها ، ورواه عنها أيضاً البخارى في الأدب المفرد ، وأحمد ، والحاكم وصححه (فيض القدير : ٢ / ١٢٨ برقم ١٤٩٧) .
(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، رواه مالك ، ورواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائي (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٥ برقم ٢٢٩٤) .
(٣) من حديث أنس رضي الله عنه ، رواه الترمذى ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، ولفظهم واحد ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٥ برقم ٢٢٩٦) .
(٤) الكهف : ٢٩ .

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ *
كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (١) .
﴿ وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *
وَضِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (٢) .
﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ * لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ *
فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ
الْهِيمِ * هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٣) .
﴿ خَذُوهُ فَغْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٤) .
﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ
وَتَغْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ (٥) .

وصف الله لنا النار حتى تكون واضحة المعالم أمام أعيننا ، وحتى لا تكون لنا
حجة ، ولا يكون لنا عذر ولا تعلّة (٦) .

حذّرنا الله النار ، وحذّرنا رسوله النار ، حتى نعمل على النجاة منها ، أمّا أن
نعيش في غفلة لاهين ، وفي غمرة ساهين ، لا ندرى ماذا يُراد بنا ولا ماذا يُعدّ لنا ،
فهذا شأن الغافلين الذين جعلهم الله أخطّ من الأنعام وأضلّ سبيلا .

استمعوا معي إلى قول الله تعالى في وصف قوم جعلهم حطب جهنّم ووقود

(١) الدخان : ٤٣ - ٤٧ . (٢) الواقعة : ٤١ - ٤٤ .

(٣) الواقعة : ٥١ - ٥٦ . (٤) الحاقة : ٣٠ - ٣٢ .

(٥) إبراهيم : ٤٩ - ٥٠ .

(٦) أنظر كتاب : (التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار) لابن رجب الحنبلي

(ت ٧٩٥ هـ) فقد أطال الحديث فيه عن النار ، وما أعدّ الله فيها لأعدائه من الخزي والنكال
والبوار ، وقسمه ثلاثين باباً .

النَّارَ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١) .

كانوا أضلّ من الأنعام لأنّ الأنعام لم تُؤت من العقول والمواهب ما أُوتى هؤلاء ، الأنعام لم يُنزل عليها كتاب ، ولم يُبعث لها رسول ، الأنعام لم تُستخلف في الأرض ، ولم يكرمها الله بالعقل كما كرم الإنسان .

ثم إنّ الأنعام تؤدى رسالتها في الركوب والحلب والحرث والسقى ، ولكن رسالة الإنسان أن يعبد الله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) ، فإذا لم يؤدّ هذه الرسالة رغم ما آتاه الله من الطاقات ، والإمكانات والمواهب ، فقد صار أضلّ من الأنعام سيلا ، وصار أخطّ من الأنعام منزلة ، ولهذا جعل الله هؤلاء حسب جهنّم ، سرّ هذا كلّهُ : الغفلة ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

أعين قلوبهم قد عميت ، أعمتها الشهوات وأعمتها الشبهات ، فعاشوا لا يدرون أماماً من خلف ، ولا يميناً من شمال .

هؤلاء الذين عميت بصائرهم ، وصمّت عن الحق آذانهم ، وضلّت عن الحق عقولهم ، فكانوا أضلّ من الأنعام سيلا .

يا أيّها الإخوة المؤمنون :

كونوا كعباد الرحمن ، ضعوا نصب أعينكم (الآخرة) تنحلّ المشاكل ، تهن عليكم الدنيا ، ويصبح كلّ أمر عسير يسيراً أمامكم ، تُؤدّى الحقوق إلى أهلها .

كان عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول : (من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لن يفعل ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون) ، أى لكان كلّ إنسان يفعل ما يشتهى وما يحلو له ، ولكن هناك قيامة ، وهناك حساب ، كما قال النبي ﷺ للجارية : « لولا القصاص لضربتكِ بهذا السواك » (٣) .

(١) الأعراف : ١٧٩ . (٢) الذاريات : ٥٦ .

(٣) الحديث ذكره المنذرى فى (الترغيب والترهيب) وقال : رواه أبو يعلى بأسانيد أحدها جيّد ، وذكره الهيثمى فى (المجمع) بعدة روايات وقال : روى هذا كلّهُ أبو يعلى والطبرانى بنحوه (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٣١ ، الحديث ٢٤٦١) .

ولكن هناك قصاص، وهناك عدل إلهي مطلق يقتصر للشاة الجماء من القرناء .
إننا في هذه الدنيا لسنا مخلصين ، ولكننا فيها ضيوف راحلون ، كلنا فيها مسافر
ينتظر الطائرة التي تقله ، أو القطار الذي يحمله إلى داره . . . إلى دار المقامة .
نحن في مقيل ، نحن في محطة استراحة ، وبعد ذلك يذهب كل إلى حال
سبيله ، ويذهب كل إلى داره الأصلية .
تري ماذا تكون داره : أمي الجنة أم هي النار ؟ .

مر الحسن البصري على شاب مستغرق في الضحك ، فقال له : يا هذا علام
استغراقك في الضحك ؟ أعرفت هل تأخذ كتابك بيمينك أم بشمالك ؟ قال : لا ،
قال : أمرت بالصراط ونجوت منه ؟ قال : لا ، قال : أعرفت أنك هاو إلى النار
أو ناج منها ؟ قال : لا ، قال : فعلام ضحكك ؟ فبكى الشاب .
علام يضحك الناس ، ويستغرقون في الضحك وفي اللهو ، وفي الغفلة ،
والأمر خطير ؟

ليس معنى هذا أن يظل الناس باكين ، ولكن ليذكر الناس الآخرة الحين بعد
الحين ، ساعة وساعة .
أذكروا الآخرة ، لا تطرحوها وراء ظهوركم ، لا تجعلوها نسياً منسياً ، لا
تتخذوها وراءكم ظهرياً .

أذكروها حتى تستقيم حياتكم ، وحتى تقوم أعمالكم ، وحتى تسدد خطاكم في
الطريق إلى الله تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَفَنَّا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .
اللهم إنا نسألك الجنة ، ونستعيز بك من النار .
اللهم إنا نسألك الجنة ، وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار
وما قرب إليها من قول وعمل .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، ادعوا ربكم يستجب لكم .

* *

(١) هو من أدعية القرآن الجامعة التي يحسن بالمرء أن يدعو بها . قال تعالى : ﴿ ... فَمَنْ
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ، وَاللَّهُ سَرِيع
الْحِسَابِ ﴾ (البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢) .

• الخطبة الثانية :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

المفروض من المسلم أن يتوازن الرجاء والخوف في قلبه ، أن يرجو رحمة الله وأن يخشى عذابه ، كما ذكرنا في الخطبة الماضية قول الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ ﴾ (١) .

وكما قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٢) .

وكما وصف بعض الأنبياء المصطفين الأخيار :

﴿ .. إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٣) .

الرجبة : الرجاء فيما عند الله من رحمة .

والرهبة : الخوف مما عند الله من عذاب .

الله تعالى وصف نفسه بقوله : ﴿ نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٥) .

ووصف لنا الآخرة فقال : ﴿ .. وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ ﴾ (٦) ، ففيها العذاب وفيها المغفرة والرضوان .

(٢) السجدة : ١٦ .

(١) الزمر : ٩ .

(٤) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) الأنبياء : ٩٠ .

(٦) الحديد : ٢٠ .

(٥) غافر : ٣ .

فلا بدّ أن يسير الخطّان متعادلين متوازنين : الحذر والرجاء ، الرغبة والرهبة ،
الخوف والطمع .

لا يغلب الرجاء حتى يصل الرجاء إلى الأمن : ﴿ . . فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(١) ، ولا يغلب الخوف حتى يصل الخوف إلى اليأس
﴿ . . إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .
وإنما يرجو ويخاف .

ولهذا روى عن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - أنّه قال : لو نادى المنادى يوم
القيامة : كلّ النَّاسِ في الجنّةِ إلّا واحداً ، لخفت أن أكون ذلك الواحد ، ولو نادى
المنادى : كلّ النَّاسِ في النَّارِ إلّا واحداً ، لرجوت أن أكون ذلك الواحد .

فالرجاء والخوف متوازنان عنده ، وهذا هو المطلوب من الإنسان المسلم .
ولكن من كثرت خطاياهم وتفاقمت ذنوبهم ينبغي أن يغلب الخوف ، ولكنّه خوف
مشوب بالرجاء ، حتى إذا جاء الموت كان كذلك الرجل الذي دخل عليه النّبي
ﷺ - وهو يحتضر - فقال : « كيف تجدك ؟ » . قال : أرجو الله يا رسول الله
وإنّي أخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل
هذا الموطن ، إلّا أعطاه الله ما يرجو وأمنه ممّا يخاف » ^(٣) .

إذا اجتمع الرجاء والخوف ساعة الاحتضار ، فهذا علامة القبول عند الله عزّ
وجلّ .

نسأل الله أن يجعلنا من الراجين الخائفين ، وأن يجعلنا من عباد الرحمن .
اللهمّ إنّنا نسألك رضاك والجنّة ، ونعوذ بك من سخطك والنّار .
اللهمّ إنّنا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النّار
وما قرّب إليها من قول أو عمل .

(١) الأعراف : ٩٩ . (٢) يوسف : ٨٧ .

(٣) رواه الترمذی عن أنس رضي الله عنه ، وقال : حديث غريب ، وفي بعض النسخ : حسن
غريب ، ورواه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، وذكره الألباني في الصحيحة (المبتقى من كتاب
الترغيب والترهيب : ٢ / ٨٧٥ ، الحديث ٢١١٢) .

اللهم اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقى .
 اللهم تُب علينا توبة نصوحا .
 اللهم أعنا على شهوات أنفسنا ، وأصلح فساد قلوبنا .
 اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللهم انصر المسلمين حيثما كانوا .
 اللهم أيدهم بروح من عندك ، وأمدهم بملا من جندك ، واحرسهم بعينك التى لا تنام ، واكلاًهم فى كنفك الذى لا يضام .
 ﴿ .. رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (١) .
 ﴿ .. رَبَّنَا آتِنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) .
 ﴿ .. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .
 ﴿ .. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فى قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .
 وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥) .
 ﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .. ﴾ (٦) .

* * *

- | | |
|---------------------|-------------------------|
| (٢) البقرة : ٢٠١ . | (١) الفرقان : ٦٥ ، ٦٦ . |
| (٤) الحشر : ١٠ . | (٣) آل عمران : ١٤٧ . |
| (٦) العنكبوت : ٤٥ . | (٥) الأحزاب : ٥٦ . |